شرح كتاب الزكاة

من اللؤلؤ والمرجان

لفضيلة الشيخ العلَّامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري حفظه الله

ميراث الأنبياء

يسرُّ موقع ميراث الأنبياء وضمن فعاليات دورة ابن قيِّم الجوزية الشرعيَّة السابعة المقامة بالمدينة النبوية عام ثلاثة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية، أن يقدِّم لكم تسجيلًا لدروس في (شرح كتاب الزكاة من كتاب اللؤلؤ والمرجان) لمحمد فؤاد عبد الباقي، ألقاها فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري-حفظه الله تعالى-.

نسأل الله-سبحانه وتعالى-أن ينفع بها الجميع.

(...الدرس الثالث...)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✓ **المتن:**

قال المصنِّف-رحمه الله تعالى-: (...باب من جمع الصدقة وأعمال البر

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ هذَا خَيْرٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه-: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟، قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بابٍ، أَيْ فُلُ هَلُمَّ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَاكَ الَّذِي لاَ تَوَىً عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

الحمد لله، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محصَّل أحاديث الباب:

أولًا: شاهد الترجمة ويشتمل على شيئين:

الأول: ما تضمنته أحاديثها من الحض على أبواب الخير، وجميع أبواب الخير هي برٌ وإحسان، إحسان من العبد إلى نفسه، وأمَّا الله-عزَّ وجل-فهو غني عن خلقه والخلق هم الفقراء إليه من ملائكة وإنسٍ وجنٍّ وغيرهم.

الثاني: الشاهد وهو في الحديث الأول (...وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ)، وهذا حضٌ على الصدقة كلِّها، سواءً كانت واجبة-وهي الزكاة المفروضة في المال، والنفقة الواجبة على المرء على يعوله-.

ثانيًا: منقبة من مناقب أبي بكر-رضي الله عنه-، وهذا في شيئين:

الأول: حرصه على الفقه وتحصيل العلم من النبي-صلى الله عليه وسلَّم-، وفي الحديث الصحيح: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[1] وأظنُّه سيأتي.

والفقه في الدين يشتمل على ثلاثة أبواب:

١ - فقه العبادات العلميَّة-يعني-الاعتقاديَّة.

٢ - وفقه العبادات العمليَّة.

٣ - وفقه المعاملات.

وخلاصته: تحليل ما أحلَّه الله منها ورسوله، وتحريم ما حرَّمه الله منها ورسوله.

---

[1] (صحيح البخاري/ ٧١)

الثانية: في دعاء النبي-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَأَرْجُو...) يا أبا بكر (...أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ...)، وهو-رضي الله عنه-من هو في البر والتقى والإخلاص والمتابعة لرسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-، وهو إمام هذه الأمَّة بعد نبيِّها-صلى الله عليه وسلَّم-وصدِّيقها وهو أفضلها وإن رغمت أنوف الرافضة وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

✓ **المتن:**

(...باب في الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء

حديث أَسْمَاءَ [رضي الله عنها]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: أَنْفِقِي وَلاَ تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ.

✓ **الشرح:**

أضيفوا (رضي الله عنها) لأنَّها بنت الصدِّيق، نعم.

أقول: في هذا الحديث الأمر بخصلة والنهي عن خصلتين.

فالخصلة المأمور بها: (...أَنْفِقِي...) وهذا واضح وأحاديثه متواترة تواترًا معنويًّا يوجب العلم والعمل.

الخصلتين: الإحصاء والإيعاء-يعني-أصلها إوْعَاء.

فالإحصاء على ضربين:

١ - **إحصاء محمود وهو:** أن يجتهد المرء في اكتساب فضائل عباديَّة-عبادة، تعبدًا لله-قولية أو عمليَّة، فيفرح أنَّه صلى في اليوم مثلًا: ثنتي عشرة ركعة تطوُّعًا، ويفرح أنَّه تصدَّق هذا اليوم، فمثلًا: كسا كذا مسكين، أعطى

نقودًا كذا من المساكين، وأنَّه مثلًا: وفِّق إلى أن صام السنة كلَّها من كل شهر ثلاثة أيَّام مع ستٍّ من شوَّال والاثنين والخميس وغير ذلك، هذا إحصاء محمود.

لكن هذا لا يستلزم أن يضع سجلًا فيسجِّل فيه كلَّ أعماله لأ، يتركها لله-عزَّ وجل-، وذلكم لأنَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-حضَّنا على هذه الفضائل وترك إحصاءها التسجيلي أو السجلِّي، فبان بأنَّه سنَّة تركيَّة ولا يجوز هذا.

٢ - الثاني، إحصاء مذموم وهو: مثلًا، أن يجعل الإنسان سجلًّا يسجِّل فيه ما عمله سواءً كان له أو عليه حتَّى تنتهي السنَّة.

وفي ذلك يقول بعض الوعَّاظ والخطباء الذين قلَّ فقههم، وفشا جهلهم: لنتفقَّد أعمالنا ماذا صنعنا في العام الماضي من كذا وكذا وكذا؟!.

من أين لك هذا يا عبد الله؟!، هذا إحصاء مذموم، فإن الله لم يكلِّفك به، بل جعل لك عوضًا منه وهو شيئين:

أولًا: جاهد نفسك وأجهدها في السعي في كلِّ فضيلة.

والثاني: جاهدها على ترك كلِّ رذيلة، سواءً كانت فيما يتعلَّق بحق الله أو حقِّ نفسك أو حقِّ عباده-عباد الله-عليك، هذا هو المذموم.

والإيعاء كذلك:

١ - **إيعاء محمود وهذا**: بأن الإنسان يتفقَّد أمواله، كم كسب في هذا اليوم؟، وقد يحتاج إلى سجل إلى وارداته ومصروفاته إذا كان من التجار، وكذلك ما يوكل إليه من الإنفاق في أعمال البر-يعني-يجمع ويسجِّل حتَّى لا يختلط عليه حلال بحرام-يدخل عليه شيء ليس بِمرغوب-، هذا محمود.

٢ - **الثاني، الإيعاء خشية الفقر**: وهذا من صفات البخلاء كل ما أراد أن ينفق نظر-فتَّش-في جيبه فتَّش في خزانته، عجيب! مثلًا، أنا سأنفق ألف باقي كم؟، تسعة وتسعون؟، لأ.

إذا كان الإنفاق واجبًا عليك فرضًا وهو زكاة مالك فلا تبالي جاهد نفسك، وإن كان مستحبًّا فكذلك جاهد نفسك ولا تنس حقَّ عيالك عليك، فقد مضى أو سيأتي أن النبي-صلى الله عليه وسلَّم-قال: (...وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ)[٢]، فما أوجب الله عليك من نفقة عيالك هذا أولى من الصدقة المستحبَّة.

✓ **المتن:**

قال-رحمه الله-: (...الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: يَا نِسَاءُ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

هذا الحديث قد مَرْ-أعني-مَرَّ أثناء الشرح.

ونكرر هنا: أن المسلم لا يكلفه الله فوق طاقته، قال-تعالى-: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ...﴿٢٨٦﴾ ﴾البقرة﴿، وقال-تعالى-: ﴿ **فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ...﴿١٦﴾ ﴾التغابن﴿، وقال-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[٣].

---

[٢] (صحيح البخاري/ ١٤٢٦)

[٣] (صحيح البخاري/ ٧٢٨٨)

والمقصود: أنَّ ما أقدرك الله عليه من نفقة فلا تحتقرها، فقد تقع موقعًا تكون عند الله-عزَّ وجل-بذلك لها-أو تكون هي مثل الجبل-عند الله-عزَّ وجل-، وقد تسد فاقة أن لا تعلمها.

انظروا هنا (...فِرْسِنَ شَاةٍ...)، فرسن الشاة هو: ما عليه ظُلْفَ الشاة، ترون الشاة تطأ على ما يسمُّونه الظلف أو الأظلف، الذي تحته هو الفرسن، والعوام يسمُّونها: (الْمَقَادم)، وهو شيء يسير لا يساوي شيئًا، بل أغلب الناس يرمونه لا يأكلونه.

✓ **المتن:**

(...باب فضل إخفاء الصدقة

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

هذا الحديث الشاهد منه (...وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى...) إلى آخر الجملة، ويتضمَّن:

أولًا: أن ذِكْرَ الرجل ليس على سبيل التخصيص، بل هو على سبيل التغليب، وذلكم:

أولًا: لأن المخاطب من النبي-صلى الله عليه وسلَّم-خطابًا أوليًّا الرجال والنساء تابعات للرجال.

وثانيًا: ليس المقصود سبعة رجال، بل المقصود سبعة أصناف، فيتحصَّل من ذكر هؤلاء السبعة ترغيب كل رجل وكل امرأة في خصلة منها.

ويستثنى في حق النساء:

أولًا: الإمامة، فالإمامة سواءً كانت الإمامة التي هي: (الإمارة) فهذه ليست للنساء بل هي من الترجُّل، فمن سعت حتَّى تصبح وزيرة أو سعي في انتخابها حتَّى تصبح وزيرة أو أميرة في عرف الدول الأخرى، محافظة أو مديرة مصلحة يعمل فيها الرجال والنساء تحت إمرتها فهذه ملعونة على لسان رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-.

لأن النبي-صلى الله عليه وسلَّم-لعن الرجلة من النساء، فالرجلة هي التي تشابه الرجال فيما هو من خصائص الرجال وطباعهم كالمشي والإمارات والإدارات، وكذلك يشارك في الإثم من سعى في إيصالها هذه المناصب.

قال-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، فَعَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)[٤].

الثاني: صلاة الجماعة، فالمرأة مخاطبة بصلاة الجماعة خطاب إعلامي أو إلزامي؟، أجيبوا إعلامي أو إلزامي؟، نعم إعلامي، فإذا حضرت الجماعة-تمكنت وحضرت-نالت الأجر، وإذا صلَّت في بيتها فهي معذورة، وإن كانت تسمع النداء، فالمخاطب إلزامًا وإعلامًا بالجماعة مَن؟، المخاطبون إلزاميًا هم الرجال في صلاة الجماعة.

قال-صلى الله عليه وسلَّم-: (مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ)[٥].

---

[٤] (سنن ابن ماجة/ ٢٠٦)

[٥] (صحيح ابن حبان/ ٢٠٦٤).

وصلاة الجماعة مأخوذة مِن: (...وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ...)، وبقيَّة الأصناف هي شريكة للرجل، فلو قدر عليها رجل له قوَّة له منصب وجال وأراد منها ما حرَّم الله عليه منها وحرَّمه عليه فقالت: أخاف الله، نالت هذا الأجر.

هناك أمر ثالث: وهو في قوله-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ...).

أقول: هذه صدقة السِّر، وهذا الأصل، فكلَّما خفيت الصدقة حجبت عن أعين الناس وأسماعهم فهو خير، ويستثنى أمران:

الأمر الأول: إذا كنت تعلم رجلًا محبًا للخير مثلك فتفطِّنه وتقول: آل فلان وآل فلان ما أحوجهم إلى كذا وأخوك قد فعل ما قدر عليه أو أعطاهم ما أقدره الله عليه، لك مثل أجره.

الأمر الثاني: إذا كنت تعلم أهل بيت محاويج لا يتفطَّن الناس إليهم لتعفُّفهم وقناعتهم بِمَا رزقهم الله فتذهب بصدقتك جهارًا-غير سِر-وتطرق بابَهم وتعطيهم ما أقدرك الله عليه، فلك مثل أجر من اقتدى بك لقول-صلى الله عليه وسلَّم-: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ،...)[٦] إلى يوم القيامة، أخرجه مسلم وله قصَّة.

✓ **المتن:**

(...باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟، قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ

[٦] (صحيح مسلم/ ٦٩ - ١٠١٧)

شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَد كَانَ لِفُلاَنٍ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

هذا الحديث فيه حضٌ على الصدقة في حالين:

الحال الأولى: الصحَّة.

والحال الثانية: الشُّح.

لأنَّه يجاهد نفسه حتَّى يخلِّصها من غلبة الشُّح عليها، فالشُّح هو: بخلٌ وإمساك بحرص وهو أقوى من البخل لذاته، البخل قد يكون قاصرًا ولكن الشُّح خطير قلَّ من يتخلَّص منه، لا يتخلَّص منه إلَّا كُمَّل العزائم، والكُمَّل في الإخلاص لله-سبحانه وتعالى- وطلب الزلفى عنده.

وأكَّد هذا بقوله: (...وَتَأْمُلُ الْغِنَى...) يعني: أنت تأمل بِمَا آتاك الله من مال تثق أنَّك-يعني-عندك من الأوجه التي تثري مالك ما يجعلك تشتدُّ أملًا في الزيادة حتَّى تكون غنيًّا والله أعلم أين ينتهي هذا.

وهناك أمر: وهو-أيضًا-اغتنام الحياة، وقدَّمت لكم حديث (وحياتك قبل موتك)

وذلكم أنَّ النبي-صلى الله عليه وسلَّم-حذَّر من تسوِّل له نفسه الكسل والتسويف حتَّى يفوِّت فضلًا كان ينبغي له تداركه، وهو في قوله: (...قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَد كَانَ لِفُلاَنٍ)، أو ينبغي لفلان كذا، هذا عند الغرغرة، فإنَّه حال الغرغرة تنتهي الصحيفة فيختم على المرء، لا يستطيع لأنَّه رأى-عاين-الملك ورأى مقعده من الجنَّة إن كان من أهل الجنَّة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار.

وفي الكتاب الكريم ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ ...﴿١١﴾ ﴾﴿المنافقون﴾.

المتن:

(...باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة

حديث ابْنِ عُمَرَ [رضي الله عنهما]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْئَلَةَ: الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ.

حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ-رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ.

حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي؛ ثُمَّ قَالَ: يَاحَكِيمُ إِنَّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى.

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه-، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ-رضي الله عنه-دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَتَّى تُوُفِّيَ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

تضمَّنت هذه الترجمة:

أولًا: فضل الإنفاق على صاحبه وذلكم في قوله: (...الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى...).

وتفسير ذلك: والعلو هنا علو معنوي، والعو الحسِّي قد يكون موجودًا وقد يكون غير موجود، مثال ذلك: قد يكون المنفق قصيرًا والآخذ طويلًا فيحتاج إلى أن يرفع يده حتَّى يأخذه ذاك، وقد يكون المنفق مثلًا-هذا الآن لاحظتم أنَّ اليد الآخذة أعلى-هنا أعلى اليد الآخذة لأنَّه احتاج أن يمد يده إليه-يرفعها-أعني: المنفق.

ومنه أيضًا كذلك: كأن يكون الآخذ على كرسي عالي وذاك جلس بجواره ولعلو الكرسي رفع يده وأعطاه ما يسَّر الله، والعكس قد يكون مثلًا المنفق على كرسي وذاك على الأرض جالس، أو يكون المنفق طويلًا، فالمضطَّرد هنا هو الانفاق المعنوي أنَّها أعلى.

وليس هذا فيه التسخيف للآخذ لأ، لأنَّه مقيَّد بقوله: بغير استشراف، فالمستشرف الذي يتطلَّع إلى ما في أيدي الناس، ربَّمَا كلَّمَا جاءه أحد رغب أن يكون معه شيء يعطيه لا سيَّما إذا لم تكن له به حاجة، هذا استشراف وهو مذموم.

الأمر الثاني: في هذه الأحاديث قد مَر وهو البدء بِمَن يعول.

والأمر الثالث: الحض على الاستعفاف والاستغناء عمَّا في يد الناس، فالاستعفاف طلب العفَّة يترك ما هو في حاجة إليه، والاستغناء أنَّه يكتسب حتَّى يستغني عمَّا في أيدي الناس بحرفة بأي شيء بعمل يسير هذا خير له من أن يسأل الناس فيعطوه أو يمنعوه.

وفيها كذلك: منقبة من مناقب حكيم بن حزام-رضي الله عنه-، وهو أنَّه تعفف حتَّى عن الواجب له من الصدقة أو من العطاءات التي يبذلها الخليفة من الغنائم.

| أنا قلت: الصدقة لكن الظاهر أنِّي سأسحبها لأنَّه لم يتبيَّن لي أنَّه من أهل الخمس-خمس أهل البيت- | .

وإنَّمَا أقول: إذن تعفف عمَّا يأتيه-والظاهر أنَّه من الغنائم-، والغنائم ما يدفعه قائد السريَّة إلى الإمام للمسلمين حق فيه، ولهذا استشهد عمر-رضي الله عنه-المسلمين عليه.

وفي هذا كذلك: منقبة من مناقب عمر-رضي الله عنه-، وهي: تبرئة نفسه من الريبة، وهذا حق على كل إمام إذا خشي أن يرتاب في أمره أن يتَّهم ينبغي أن يدفع التهمة عن نفسه بالأوجه الصحيحة.

✓ **المتن:**

(...باب في النهي عن المسألة

حديث مُعَاوِيَةَ [رضي الله عنه]، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ...)أهـــ.

✓ الشرح:

في هذا الحديث:

أولًا: الحضُّ على ماذا؟، الحضُّ على تحصيل العلم، والعلم عند أهل الإسلام هو: فقه الكتاب الكريم، وفقه سنَّة النبي-صلى الله عليه وسلَّم-، وعلى وفق فهم السلف الصالح وهم كلُّ من مضى بعد رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-على أثره.

وأساس أولئكم الماضين على أثره-صلى الله عليه وسلَّم-الصحابة-رضي الله عنهم-، ثمَّ أئمَّة التابعين المشهود لهم بالإمامة في الدين والسابقة في الفضل ومنهم: أبو العالية الرياحي، وسعيد بن المسيِّب، وسعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد ابن أبي بكر، والزهري محمد بن شهاب.

ثمَّ مَن بعدهم ومنهم: مالك بن أنس، والشافعي، وأحمد، والليث بن سعد، والمعافى بن عمران، وشعبة بن الحجاج، والأئمَّة أهل الأمَّهات الست، وسائر أهل القرون المفضَّلة الثلاثة التي شهد لها رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-بالخيريَّة في أحاديث كثيرة ومنها:

قوله-صلى الله عليه وسلَّم-: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...)[٧]، هذا الأمر الأوَّل.

الأمر الثاني: في قوله-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي...)، ما الشاهد للترجمة؟، هل هي ظاهرة صريحة أو مستنبطة؟، مستنبطة استنبطها المؤلِّف، ولعلَّه يشير إلى حديث آخر.

---

[٧] (صحيح البخاري/ ٢٦٥٢)

فهذا يوجب على المسلم أن يقنع بِمَا آتاه الله، وفي الحديث الصحيح: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)[٨]، هكذا التعفف، فما أتاه من كسب يقنع ولا مانع من السعي في زيادة الكسب الحلال، لكنَّه يقنع بهذا إن حصل شيء بها ونعمت عن طريق حلال، وإن لم يحصل حمد الله على ما رزقه واقتنع به.

وأمر ثالث: وهي بشارة ليهنأ بها أهل السنَّة والجماعة وهي في قوله-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَلَنْ تَزَالَ...) إلى آخره، هذا متواتر، وإن لم يكن متواترًا فمستفيض عن النبي-صلى الله عليه وسلَّم-.

وحاصله: أنَّ أهل السنَّة والجماعة-أنَّ أهل الحق والهدى-لا يمحون من الأرض ولا ينتهي أمرهم، فلا بد أن تبقى منهم بقيَّة يجعل الله فيهم خيرًا كثيرًا وتقوم بهم الحجَّة على من عاصرهم وشاهدهم وأنَّه لا يضرُّهم من خالفهم من أهل زمانهم وإن كانوا قلَّة.

وأفضل الوصايا في هذا قول الفضيل بن عياض-رحمه الله-: (عليك بطرق الهدى ولا يضرُّك قلَّة السالكين وإيَّاك وطرق الضلالة ولا تغترَّ بكثرة الهالكين).

✓ **المتن:**

(...باب [في] المسكين الذي لا يجد غنىً ولا يفطن له فيتصدق عليه

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، تَرُدُّهُ اللقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ...)أهـــ.

---

[٨] (صحيح مسلم/ ١٢٥ - ١٠٥٤)

✓ الشرح:

هذا الحديث تنبيه إلى الفرق بين الفقير والمسكين، فالفقير هو الْمُعْدَم، ومنه من ذكره النبي-صلى الله عليه وسلَّم-(تَرُدُّهُ اللقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ)، وإن شئت فقل تردُّه العشرة والعشرون، هو مُعْدَم ما جاءه قبله وانتهى به عن سؤال من أراد أن يسأله.

وليس المقصود أنَّها تردُّه بالكليَّة فاللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان لا تنفع، لكن الشارع فيه ضرب الأمثال وليس المقصود الإطلاق والتعميم.

وأمَّا المسكين فهو المحتاج، فمنهم من بلغت به المسكنة إلى أنَّه لا أحد يتفطَّن له، مسكين المسكنة بلغت به إلى أنَّه لا يتفطَّن له فيتصدَّق عليه، لأنَّ عادة الْكُرَمَاء-وحتَّى البخلاء أحيانًا-إذا تفطَّنوا إلى أحد يعطونه ما تيسَّر، ولكنَّ الكرماء يستكثرون والبخلاء يستقلُّون.

ومنهم من هو على شيء-يعني-يكفُّه عن الناس لكن لا يسدُّ حاجته بالكليِّة، وبرهان هذا في قوله-تعالى-في قصَّة موسى والخضر-عليهما الصلاة والسلام-: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ...﴿٧٩﴾ ﴾﴿ الكهف ﴾ إلى آخر الآية، مساكين يعملون عليها، فخرقها الخضر-عليه السلام-حتَّى لا يأخذها ذاك الملك الجبَّار الذي يأخذ كل سفينة غصبًا ولا يهمُّه أمر أهلها.

ولهذا قال العلماء: الفقير: من لا يجد شيئًا، والمسكين: من يجد شيئًا لكن دون كفايته، والآية تنطبق على هذا.

✓ **المتن:**

(...باب كراهة المسألة للناس

حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ [رضي الله عنهما]، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

أقول: هذه الأحاديث مقيَّدة بِمَن سأل تكثُّرًا وقد صحَّ هذا عن النبي-صلى الله عليه وسلَّم-، يسأل الناس تكثُّرًا-يعني-لا لحاجة، أمَّا من كان مضطرًّا فلا مانع لكن بقدر ضرورته، وفي الحديث الصحيح: (...وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ...)[٩]، هذا أوَّلًا.

وثانيًا: فيها الحضَّ على السعي في الكسب الحلال استغناءً عمَّا في أيدي الناس.

✓ **المتن:**

(...باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف

حديث عُمَرَ [رضي الله عنه]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ...)أهـــ.

---

[٩] (سنن أبي داوود/ ١٦٧٢)

✓ **الشرح:**

وهذا الحديث فيه تأكيد الترجمة قبلها.

حاصله: أنَّ من أعطي مالًا من الإمام أو غيره بغير استشراف، وهذا على ضربين:

أحدهما: أن يكون محتاجًا إليه، في حاجة-فقير-، أو به حاجة إليه وإن لم يكن فقيرًا فيأخذه حلال له.

والثاني: من ليست له به حاجة لكن حقٌ له دفعه إليه الإمام، فهذا إن أخذه كان مُحِقًّا، وإن لم يأخذه فإنَّه متعفف.

وأمر ثالث: وهو من الاستغناء والاستعفاف أنَّ المرء لا يتبع نفسه ما لم يصل إليه هذا أفضل، لكن قد يحجب عنه حقٌ له لا مشاحَّة فيه لأحد فهذا لو طالب به فلا بأس، لو طلبه من إمامه أو أميره وأقام الدليل على أنَّه محتاج إليه فلا بأس عليه في ذلك إن شاء الله-تعالى-، لأنَّ المرء له أن يطلب ما مُنعه من حقوقه.

✓ **المتن:**

(...باب كراهة الحرص على الدنيا

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: لاَ يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ.

حديث أَنَسٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ وَطُولُ الْعُمُرِ...)أهـــ.

✓ الشرح:

حاصل هذا الباب:

أولًا: ظاهره النهي، والنَّووي هنا-لأنَّ الشيخ فؤاد بن عبد الباقي اختار تراجم النَّووي في هذا الكتاب-يراه على الكراهة، والكراهة كراهتان:

١ - كراهة تحريم.

٢ - وكراهة تنزيه.

ومن هنا ينقسم السعي في المصالح الدنيويَّة إلى قسمين:

أحدهما: سعيٌ وراءه البخل والشُّح، سواءً فيما أوجبه الله عليه من حقِّه أو من حقِّ عباده، وفيه حديث أبي كبشة الأنماري وقد قدَّمته لكم في الدرس الثاني على ما أظن (...إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ...)[١٠] فراجعوه.

الثاني: سعي في الكسب الحلال، ومن صوره: رغبة المرء في أن يبقى غنيًّا ويبقى ورثته بعده أغنياء لا يتكفَّفون الناس، وكذلك مع هذا إنفاقه في وجه الخير ما كان واجبًا

---

[١٠] يشير الشيخ إلى ما ذكره في الشريط الثاني خلال شرحه، حيث قال-حفظه الله-: (...وأخرج الترمذي وغيره وقال الترمذي: حديث حسن صحيح: عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ-رضي الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلَّم-قال: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ...) يعني: يتخبَّط...)أهـــ.

وما كان مستحبًا من إغاثة الملهوف، والوضع عن المعسر أو إنظاره، إلى غير ذلك من أعمال البر، هذا محمود والأول مذموم.

وفي الثاني من الكتاب العزيز قوله-تعالى-: ﴿ ...وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ...﴿٧٧﴾ ﴾القصص﴾، قال أهل العلم: ما يحتاج إليه من مناكح ومآكل ومشارب، عندك يا خوي واحدة وأنت تريد ثانية وثالثة ورابعة وما عليك، إذا قدرت على العدل فلا بأس، قال: والله هي تزعل، تغضب، قلنا: والله ما لنا شغل هذا حقٌ لك، لكن عليك بتطييب الخاطر وحسن الصحبة كما قال-تعالى-: ﴿ ...وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ...﴿٢٣٧﴾ ﴾البقرة﴾، لا تنس عشرتها معك أمّ أولادك لها سنوات لا تنس عشرتها.

لكن كونك تعدد هذا من شرع الله-عزَّ وجل-الله أباحه لك وهو الأصل لأنَّ الله بدأ به فقال: ﴿ ...فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ...﴿٣﴾ ﴾النساء﴾، فالاكتفاء بالواحدة رخصة.

✓ **المتن:**

(...باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثًا

حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ [رضي الله عنه]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ.

حديث ابْنِ عَبَّاسٍ [رضي الله عنهما]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِلْءَ وَادٍ مَالاً لأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلاَ يَمْلأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

أقول: هذا أيضًا على ضربين:

أحدهما: أن يكون تَمنيه الثالث بِمجرَّد شهوة الدنيا ولا رغبة له في السعي إلى الآخرة، فهذا هو الشُّح، قال-صلى الله عليه وسلَّم-: (...وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)[11]، تنافس في الدنيا فقط، هذا هو المذموم والْمُحَرَّم، يوجب على من كان هذا ديدنه المبادرة إلى التوبة، ومن توبته أن يخلِّص نفسه من هذا الشح ويقنع بِمَا آتاه الله، وإن استزاد فليبذل في أوجه البر والإحسان والخير، هذا هو.

الثاني: أنَّ تمني الزيادة لِمَا تقدَّم من حبِّ الكسب الحلال والإنفاق في أوجه البر والإحسان، هذا لا مانع منه حتَّى لو سعيت إلى أن تصل إلى ما وصل إليه قارون من كثرة المال ما دمت تؤدِّي حق الله فيه وحقَّ عباده فلا بأس عليك إن شاء الله-تعالى-.

الأمر الثالث: في قوله: (...وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ...) وفي رواية أخرى (...وَلاَ يَمْلأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ...) هذا إخبار عن شدَّة حرص الإنسان على الدنيا، والحرص لمجرَّده عرفتم أنَّه محرَّم.

---

[11] (صحيح مسلم/ ٥٦ - ٢٥٧٨)

الأمر الرابع: الحضُّ على التوبة ما دام المرء في فسحة من أمره وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عمر–رضي الله عنهما–وحسَّنه: (...عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)[١٢]، يعني: ما لم تبلغ روحه حلقومه.

✓ **المتن:**

(...باب ليس الغنى عن كثرة العرض

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]، عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

(...عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ...)، (...عَنْ...) هذه لها معنيان:

أحدهما: أن تكون بمعنى الباء فهي سببيَّة، (...لَيْسَ الْغِنَى...) بِـــ (..كَثْرَةِ الْعَرَضِ...)، وذلكم أنَّ بعض الناس لو أوتي ما أوتي من المال ما يقنع يتطلع إلى أوجه اخرى محرَّمة، تحتمل أن تكون على ظاهرها بمعنى (...عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ...)، والمعنى: أنَّه يستغني عن الدنيا فيكتفي بِمَا تيسَّر منها، والله أعلم.

ثمَّ بيَّن–صلى الله عليه وسلَّم–السبيل الصحيح في الغنى وهو (...غِنَى النَّفْسِ...)، وهو أنَّ الإنسان يقنع بِمَا آتاه الله، نعم (...غِنَى النَّفْسِ...)، وتقدَّم (...وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ...).

---

[١٢] (سنن الترمذي/ ٣٥٣٧)

✓ المتن:

(...باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا

حديث أَبِي سَعِيدٍ [رضي الله عنه]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ قِيلَ: وَمَا بَرَكَات الأَرْضِ قَالَ: زَهْرَة الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟، فَصَمَتَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟، قَالَ: أَنَا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذِلِكَ، قَال: لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ، إِنَّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرَةِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَمْسَ فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ؛ وَإِنَّ هذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ؛ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ.

حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخدْرِيِّ-رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟، فَسَكَتَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ النَبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَلاَ يُكَلِّمُكَ؟، فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ قَالَ فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟، وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَو يُلِمُّ، إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَت وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

أقول: محصل الحديثين في هذه الترجمة بيَّنه-صلى الله عليه وسلَّم-وهو: تنبيه إلى أنَّ السعاة في الدنيا قسمان:

١ - قسم يحصِّل ومهما يحصِّل لا ينسى حقَّ الله فيه.

٢ - وقسم آخر مهما يحصِّل فلا يؤدي فيه حقَّ الله، فلا يؤدِّي ما أوجب فيه من حقّ لله أو لعباده.

هذا محصَّل أحاديث الترجمة.

✓ **المتن:**

(...باب فضل التعفف والصبر

حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخدْرِيِّ-رضي الله عنه-، أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُم، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ...)أهـ.

✓ **الشرح:**

هذا الحديث يتضمَّن خصلتين:

إحداهما: كرم رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-، فأنبياء الله هم خير عباد الله وأكرم عباد الله، وأخشى عباد الله لله وأتقاهم له، ومحمد-صلى الله عليه وسلَّم-هو خير الناس، أفضل من الأنبياء واتباعهم-عليه الصلاة والسلام-، وقد وصفه ربُّه بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾﴿القلم﴾، ومن خلقه البذل والعطاء، ينفق-صلى الله عليه وسلَّم-إنفاق من لا يخشى الفقر.

| أقول: أخطأت في الآية فقلت: وإنَّك لعلى خلق كريم، والصواب: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ |

فإذا أردنا الاستنباط منها يجوز أن يقال: من عظمته-صلى الله عليه وسلَّم-كرم خلقه، وعظمته-صلى الله عليه وسلَّم-ظاهرة في سياسته الشرعيَّة وتواضعه إلى غير ذلك مِمَّا هو معروف عند أهل الإسلام عامَّة وعند أهل السنَّة خاصَّة.

أقول: الأمر الثاني، ينضاف إلى ما تقدَّم من كرمه-صلى الله عليه وسلَّم-حسن الملاطفة، ولهذا قال: (...مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُم...)، وهذا من الصفات الحميدة والسجايا الجميلة.

وما أكمل النبي-صلى الله عليه وسلَّم-في هذه الصفات وهذه الطباع الجميلة، ومن تحلَّى بها كان مقتديًا برسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-فإذا أعطى أو لم يجد ما يعطيه فيلاطف بالدعاء الجميل، أو إذا أعطى واستقلَّ الْمُعْطَى يقول: أبشر بالخير إن شاء الله لو كان عندنا أكثر من هذا ما بخلنا عليك، إلى غير ذلك مِمَّا تسَرُّ به نفس المحتاج.

الخصلة الثانية: الحضُّ على الاستعفاف والاستغناء والصبر، فما تحلَّى بها أحدٌ إلَّا رزق القناعة ورزق الطمأنينة ورزق الرضا بِمَا قسم الله له.

✓ المتن:

(...باب في الكفاف والقناعة

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اللهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا...)أهـــ.

✓ الشرح:

القوت: هو ما يقتات به، ووجه الاستدلال منه والاستشهاد به دعاء النبي-صلى الله عليه وسلَّم-: (...اللهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا...)، لأنَّ الأصل هو قوت اليوم والليلة هذا هو الأصل وما زاد عليه بالطرق المشروعة فلا باس به ولا حرج فيه.

والسعي في قوت النفس والعيال والأهل هذه جِبِلَّة عند كلِّ أحد حتَّى البخلاء، لكن أهل الكرم والسخاء والبذل وأهل الطيبة هؤلاء لا يقتِّرون ينفقون مِمَّا رزقهم الله، وأمَّا البخلاء فإنَّهم وإن أنفقوا فنفقتهم مصحوبة بالبخل والْمَن والأذى وأمور تجرح المشاعر وتكدِّر نفوس المنفق عليهم.

✓ المتن:

(...باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة

حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ؛ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

حديث الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَقْبِيَةً، وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ: يَا بُنَيِّ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي، قَالَ فَدَعَوْتُهُ لَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا، فَقَالَ: خَبَأْنَا هذَا لَكَ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةُ...)أهـــ.

✓ الشرح:

الغلظة: هي الشدَّة في الخطاب، ومن ذلكم قول بعض الناس للأمير أو المسئول عن المال: أمَا تستحي؟، أمَا تعطينا من حقوقنا؟، أمَا تتقي الله فينا؟، ومنهم من يجهر على المنابر وفي شتَّى المحافل، هذه الغلظة وهي سوء أدب مع الإمام ونوَّابه.

ونحن مأمورون في أحاديث مستفيضة بالصبر على جور الجائر من الحكَّام، وألَّا نؤذيهم، وأمَّا الطلب برفق بأن يؤثر المرء حاجته إلى الإمام أو نوَّابه من امراء مناطق مثلًا، أو مدراء شؤون اجتماعيَّة بأدب ورفق وإظهار حاجة فهذا لا بأس به ولا حرج عليه وهو من حقِّه الطلب برفق.

الحديث يفيد بل كلاهما يفيد: حِلْمُ النبي-صلى الله عليه وسلَّم-.

وإيضاحه: أنَّه لم يعاقب ذاك الأعرابي، فلم يدفعه، ولم يشدَّه بيده، ولم يزجره، بل ضحك-صلى الله عليه وسلَّم-، وضحكه معروف وهو بداية الأنياب.

الثاني: أنَّه لم يعنِّف مخرمة-رضي الله عنه-حين أتاه يسأله، بل طيَّب خاطره وطمأن نفسه وادخل عليه السرور قال: (...خَبَأْنَا هذَا لَكَ...) أعطاه وقال: (...خَبَأْنَا هذَا لَكَ...).

✓ **المتن:**

(...باب إعطاء من يخاف على إيمانه

حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ [رضي الله عنه]، قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْهُمْ رَجُلاً لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ وَاللهِ إِنِّي لأُرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا؟، قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً؛ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ وَاللهِ إِنِّي لأُرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا؟، قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ وَاللهِ إِنِّي لأُرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا؟، فَقَالَ: إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ...)أهـــ.

✓ **الشرح:**

في الحديث:

أولًا: جواز اجتهاد الإمام في إيصال العطايا من يخشى عليه أو يخشى منه كذلك، لأنَّ بعض الناس سليط اللسان، فإذا لم يعط ولو لم تكن به حاجة سلَّط لسانه وشهَّر ولجلج بكل ما قدر عليه من الكلام البذيء.

ومن ذلكم التشهير في وسائل الإعلام المسموعة أو المرئيَّة أو المقروءة وفي غير ذلك من المحافل كالخطب، وهذا من أساليب ومسالك الخوارج القعديَّة، فهم الذين يشهِّرون بأخطاء ولاة الأمر، وهؤلاء قال فيهم رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-كما صحَّ عنه:

(تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)[١٣].

الثاني: من يَخْشى عليه فيرتد عن إيمانه، وهذا يعطى للتألُّف وإن كان غيره أحقُّ منه.

وبهذا نستطيع أن نقول: بالنظر الذي يظهر ويُدرك أنَّ الناس قسمان من حيث الإعطاء والمنع:

١ - قسم لا يُخَاف عليه ولا يخشى منه، هادئ، وقور، ساكن، مؤدَّب، قنوع، قوي الإيمان، فهذا يُعطى غيره، هذا لا يخشى منه ولا يخشى عليه.

٢ - **الثاني:** هو الْمُتَقدِّم الذي حرم حسن الأدب والسمت الحسن، وحرم الوقار، كان همُّه الدنيا، فيعطى وإن كان غنيًّا، ومثله كذلك الذي يُخشى على إيمانه إذا لم يعط.

---

[١٣] (صحيح البخاري/ ٦٤٣٥)

☒ السؤال الأول:

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم وأحسن الله إليكم، سائل يقول: السلام عليكم شيخنا-بارك الله فيكم-، هل يجوز إعطاء زكاة المال لرجل يفعل المحرَّمات ورجل لا يصلي؟، فما حكم ذلك-بارك الله فيك-؟.

☒ الجواب:

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، إن كنت تطمع في هدايته بما ظهر لك من لين طبع وحسن استجابته للنصيحة فأعطه لعلَّ الله يغنيه بها عن المحرَّمات ويقوِّيه على الصلاة التي هي عمود الإسلام وأعظم أركانه بعد الشهادتين، وإن ظهر لك خلاف ذلك وأنَّ هذا قد يزيده فهذا قسمان:

١. قسم له زوجة وأولاد، وزوجته تعلم أنَّها فاضلة ذات دين وخلق فأعطها إيَّاها-صدقتك-، أو تعلم أنَّ إحدى أولاده رشيد عاقل كذلك ظهر لك حسن تديُّنه وخلقه فأعطه، أمَّا هو فلا.

☒ السؤال الثاني:

أحسن الله إليكم، وهذا سائل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شيخنا-حفظكم الله-، إذا كنت طالبًا أدرس دراسة جامعيَّة وأعطى مكافأة أستعين بها على أمور دنياي ليس لي كسب غيرها، فهل تجب علي زكاة الفطر؟، وماذا لو تكاسلت في إخراجها حتَّى ذهب وقتها؟، أفيدونا-رعاكم الله-.

☒ الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بِناءً على ما أظهرت من حاجتك إلى المال حسب فهمي لسؤالك فلا بأس عليك.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم ونفع الله بكم.

وللاستماع للدروس المباشرة والمسجَّلة والمزيد من الصوتيات يرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط:

www.miraath.net

قام بتفريغه: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

السبت الموافق: ٢٨/ شوَّال/ ١٤٣٣ للهجرة النبوية الشريفة.